حكايات نبوية

١٠

أشدُّ يومٍ على رسول الله ﷺ

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

جَدلٌ بينَ المُيسّرينَ وبينَ المُشدِّدين!!

زَارتْ (لحاظٌ) صديقتَهَا (لَميس) وجَلَستَا في حديقةِ البَيْتِ تحتَ الأَشْجارِ الكَثِيفَةِ وأمامَ نافُورَةِ الماءِ الجميلَةِ..

وَإِذَا بِلحَاظ تسمعُ أَصواتاً وصَخباً ينبعثُ من صَالون بيتِ (لَميس) حتَّى ظنَّتْ أنَّ هناكَ قِتَالاً وَشِجَاراً بينَ أَفرادِ العَائلةِ!

ولمَّا أحضرتْ صديقتُها (لَميس) بعضَ أَنواعِ الفَواكِهِ.. ابتسمتْ (لَميسٌ) وقالتْ: عِندمَا سَمعت هذَا الصِّياح.. ماذا خطرَ ببَالكِ؟

فقالتْ (لحاظٌ): ظننتُ أنَّ شجاراً ما قدْ وقَعَ بينَ والدكِ وإخوتكِ الشَّبَاب.. لكنْ تردَّدتُ وأنَا

أعرفُ مقدارَ الآدابِ والأَخلاقِ التي يتَّصِفُ بهَا أَصحَابُ هَذا البيتِ..

وحَملتْ (لَميسٌ) كُرسيَّها.. وقالتْ لِصديقتِها (لحَاظ): احمِلي كُرسيَّكِ وتَعالي لِتَستَمِعي إلى ذاكَ الجدلِ العَقيمِ!

واقتربَتَا من النَّوافذِ المُطلّةِ على الحَدِيقةِ.. فَسمِعَتَا مَا يَلي:

واحدٌ من الرِّجالِ يسألُ: هل ماتَ والدَي رسولِ اللهِ ﷺ على الكُفرِ أم ماتَا على الإسلامِ؟!

- عمّ الرَّسولِ ﷺ ماتَ على الكُفْرِ أم على الإسْلامِ؟!

- أينَ نَضَعُ أيدينَا في الصَّلاةِ: أنضعهُمَا على السرَّةِ ، أم على يَمِينهَا؟ أم على يَسَارِهَا؟!

- كيفيَّة حفّ الشَّارب وقَصّه..

- وهل حَلقُ اللِّحيةِ حَرامٌ!!

وَهَكَذا هَذا يفتي فتَاوى التَّيسيرِ والتَّبشيرِ.. وذاكَ يُفْتي بالتَّعسيرِ والتَّنفيرِ.. والكلّ يتعصَّبُ لمذهبِهِ.. وآرائه ووجهةِ نظَرِهِ..

فقالتْ (لحاظٌ) لِصَديقتِها: الحَقُّ مع أهلِ التَّيسيرِ ، وذلكَ لأنَّ الله تَعالى قالَ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

وقال تعالَى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾.

وقال سُبْحانَهُ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾.

ومنهجُ حَياة المُصطَفى ﷺ يتلخَّصُ بما روتْهُ أمُّ المؤمنينَ عائشةُ رضيَ اللهُ عنهَا قالتْ: «مَا خُيّر رَسولُ اللهِ بينَ أمرينِ إلاَّ اختارَ أيسرَهُما ما لمْ يكنْ إثْماً».

هَزَّتْ (لَمِيسٌ) رأسَهَا وقَالتْ: صَدَقتِ

يا عزيزَتي ، فالذينَ يُشدِّدونَ على النَّاسِ ويُعسِّرونَ وينَفِّرُونَ هؤلاءِ يغلقونَ أبوابَ رحمةِ اللهِ سُبْحانَهُ وتَعالى.

وبالتَّالِي فهُم يخالفونَ منهجَهُ في القُرآنِ ، ومنهَجَ نبيِّه ﷺ ، وقدْ قالَ اللهُ تعالَى:

﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

وقَدْ وَصفَ اللهُ تَعالى نَبيَّهُ صلواتُ اللهِ عليه بالرَّحمةِ:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾.

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾.

لكِنْ: كَيفَ وَصَلَنَا هذا الدِّين؟!

ولمَّا عادتْ (لَميسٌ) معَ صَدِيقتِهَا (لحَاظ) إلى

قُربِ البُحيرَةِ الزَّرقَاءِ ، قالتْ (لحاظٌ): يا الله إنَّ كلّ شيءٍ في الحَديقةِ ينطقُ بتَوحيدِ اللهِ ، والشُّكْرِ لهُ على نِعَمهِ وآلائِهِ.

وتسَاءلَتْ (لَميسٌ): ولكنْ كيفَ وصلَ الإسْلامُ إلينَا؟

هل حُمِلَ هذا الدِّينُ على أكفِّ الرَّاحةِ أمْ على صَحائف من ذهبٍ وفضَّةٍ؟ أمْ ماذا؟

فقالتْ (لحاظٌ): أَبداً ، لقدْ ضَحَّى المُسْلمونَ في سبيلِ الإسْلامِ تَضحِياتٍ لا مثيلَ لَهَا..:

لقدْ هَجَروا الأَوْطانَ ، وتركُوا البُيوتَ والعقَاراتِ ، وَعُذّبوا كَثيراً ، وتَركُوا التِّجارةَ والأرزاقَ.. وهاجَروا إلى الحبَشةِ.. ثمَّ إلى المَدينةِ المُنوَّرةِ.

لقدْ جَاعُوا.. وعَانُوا الكَثِيرَ الكَثِيرَ.. وعَطِشُوا... وتحمَّلوا قلّةَ الثِّيابِ.. وصَبَروا.. ،

حتَّى فتحَ اللهُ عليهِم.. ووجدُوا ما لمْ يجدُوه في السَّابِقِ..

اسمَعي هَذهِ الحِكَايَةَ يا لحَاظ

وأَخرجتْ (لَميسُ) من جيبِها وَرقةً وراحَتْ تَقرأُ:

في صَحيحِ مُسْلمٍ عن عائِشَةَ رضيَ اللهُ عنهَا أنَّها قالتْ لرَسولِ الله ﷺ:

يا رسولَ الله! ما أتَى عليكَ يومٌ كانَ أشدَّ عليكَ من (أُحُد)؟

قالَ: لقدْ لقيتُ من قومِكِ ، وكانَ أشَدَّ ما لَقِيتُ منهُم يوم العَقَبةِ ، إذْ عَرضْتُ نَفسِي على (ابنِ عبدِ يَا ليل) فلم يُجِبْنِي ، فانطلقتُ وأنَا مَهْمومٌ على وَجْهي ، فلمَّا كنتُ بمَوضعِ كذا رفعتُ رَأْسِي

فإذَا أَنَا قَدْ أَظلّتني سَحابةٌ ، فنظرتُ فإذا فيهَا جِبْرِيل ، فناداني فَقالَ:

إنَّ الله عزَّ وجلَّ قدْ سمعَ قولَ قومكَ ، وما رَدّوا عليكَ ، وقدْ بعثَ إليكَ ملكَ الجِبالِ لِتأْمُرَهُ بما شِئتَ فيهم.

فناداني مَلكُ الجِبالِ فسلَّمَ عليَّ ، ثُمَّ قالَ:

يَا محمَّد! إنَّ الله عزَّ وجلَّ قدْ سمعَ قولَ قومكَ ، وأنَا ملَكُ الجِبَالِ ، وقدْ بعثني ربُّكَ إليكَ لِتَأمُرَني بأمركَ فيما شِئتَ ، إنْ شئتَ أطبقُ عليهم الأَخشبَيْنِ؟!(١)

فقالَ رسولُ الرَّحمةِ ﷺ:

«بلْ أرجُو أن يُخرجَ اللهُ من أصلابِهِم من يعبدُ الله لاَ شريكَ لهُ».

---

(١) الأخشبان: هما جبلان بمكة، يُقال هما جبل (أبي قبيس) والجبل الذي يقابله.

وبكتْ (لحاظٌ) وقَالتْ:

فداكَ أَبِي وأمِّي يا رسولَ الله ، لقدْ صدقَ اللهُ حينَ وصفكَ بصِفَتينِ من صفاتِهِ ، فقالَ اللهُ تَعَالى:

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

وتحاوَرتْ (لحاظٌ) مَعَ صديقتِها (لميس) حَولَ أهمّ ما يُستفادُ من هذهِ الحكايةِ النّبويَّةِ..

فقالتْ (لميسٌ): نأخذُ من هذهِ الحكَايةِ دُروساً كثيرةً منهَا:

أنَّ الأنبياءَ عليهم السَّلامُ لاقَوْا في سبيلِ الدَّعوةِ إِلَى الله الشَّيءَ الكَثِيرَ ، بل إنَّ بعضَهم قدْ قُتلَ ظُلماً وَعُدواناً!!

وقالتْ (لحاظٌ): ونتعلَّم أَيضاً درسَ الدَّعوةِ

إلى اللهِ بالحِكْمةِ والموعِظَةِ الحَسَنةِ ، كمَا قالَ اللهُ تَعالى:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾.

وَقوله سُبْحَانَه:

﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾.

صَبرٌ لا تَحتملهُ الجِبالُ!!

وَقُرِعَ جَرسُ بابِ بيتِ (لميس).. ولمَّا فَتحتْ أُختُهَا الصَّغيرةُ وَجدتْ أمامَ البابِ صديقةَ أختِها (لمَياء)..

فنادتْ قائلةً: يا لَميس.. جَاءتْ صديقَتُكِ (لَمياء).. فخَرجَتْ (لَميسٌ) وأدْخَلتْ صَدِيقَتَها..

وبعدَ تَنَاوُلِ قَليلٍ من الحلويَّاتِ ، قَالتْ (لمياءُ): عن مَاذا كنتمَا تتحدَّثانِ؟!

أجَابتْ (لحاظ): عن الصُّعوباتِ التي تَحمَّلها الرَّعيلُ الأوَّلُ من هذهِ الأمَّةِ..

فقالتْ (لمياءُ): لقدْ قرأتُ البَارحةَ في كتابِ (حياةِ الصَّحابةِ) قصَصاً مؤثِّرةً جداً ، من ذلكَ مَثلاً:

أنَّ السَّيِّدةَ الزَّهراءَ فاطمةَ رضيَ الله عنهَا قدمتْ إلى الرَّسولِ ﷺ ، فناولتهُ قطعةَ خبزٍ...

فَقالَ: «ما هذِه يا فَاطِمَة؟!».

قَالتْ: خَبزتُ قرصينِ من الشَّعيرِ ، فقَسمتُ القرصَ الأوَّلَ بينَ الحَسنِ والحُسينِ ، وقَسمْتُ الثَّاني نِصفينِ ، نصفاً لي ولعليٍّ ، وهذا النِّصف الثَّاني لكَ يا رسولَ الله.

فأخذَه الرَّسولُ ﷺ وقالَ: وهذهِ ثَالثةُ ليلةٍ لمْ يدخلْ إلى جوفِ أبيكِ طعامٌ قطّ!!

ومثلُها قصَّةٌ أُخرَى: أنَّ عروةَ بنَ الزُّبيرِ رضيَ اللهُ عنهُ سألَ أمَّ المؤمنينَ عَائِشةَ رضيَ الله عنهَا: كيفَ كانَ حَالكم يا خَالَة؟

فَقالتْ: كُنَّا نَبيتُ الهِلالَ ثمَّ الهلالَ ، ثلاثةُ أَهلّة بِشَهرينِ ولا يُوقدُ في بيتِ رَسولِ الله نارٌ يُطبخُ عليهَا!

فَسَألها عُروةُ: وعَلى ماذا كُنتُم تَعيشونَ يا خَالةُ؟

قَالَتْ: عَلى التَّمرِ والمَاءِ!!

ما هَذِهِ العِيشَةُ الصَّعْبَة؟!

قَالتْ (لحاظُ): وقَرأتُ مرَّةً هذهِ الحكَايةَ:

دخَلتِ (الشِّفاءُ بنتُ عبدِ الله) على ابنتِهَا ،

وكانتْ زوجةَ (شَرحبيلَ ابن حَسَنة) فوجَدتهُ جَالِساً في البَيْتِ ، والمؤذّنُ يُنَادي: حيَّ على الصَّلاة ، حيَّ على الفَلاح.

فَراحتْ تعنّفهُ وتقولُ: ألا تَستحِي من الله ورسولِهِ ، وتجلسُ في البيتِ والمُؤذّنُ يَدعُو إلى الصَّلاةِ؟!

فرفَعَ (شرحبيلُ) رأسَهُ وقالَ: لا تَلومِيني يا خَالَة ، لقدْ كانَ لي ثوبٌ أَخرجُ بهِ إلى الصَّلاةِ ، فجاءَ رسولُ الله واستعارَهُ منِّي ، كي يخرجَ لِيُصلّي بِالنَّاسِ إماماً!!

فَبكتْ.. وبَكَى الجميعُ لتلكَ الحَالةِ..

إنَّه ثمنُ الجَنَّة حقاً..!!

هزَّتْ (لَميس) رأسَها وقالتْ:

تلكَ الصُّعوباتُ التي تحمَّلها الرَّعيلُ الأوَّلُ هي

ثَمنُ الجنَّةِ ، ذلكَ لأنَّها سِلعَةٌ غاليةٌ ، ولابدَّ من دَفعِ الثَّمنِ.

مصداقُ ذلكَ قولُه تَعالَى:

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

فهلْ نكونُ خيرَ خَلفٍ لخيرِ سَلفٍ؟!

وَردَّدتْ (لحَاظٌ):

فَتَشبَّهوا إنْ لمْ تكونُوا مثلهُم

إنَّ التَّشبُّـهَ بـالكـرامِ فَـلاَحُ

والحمدُ لله ربِّ العَالمينَ